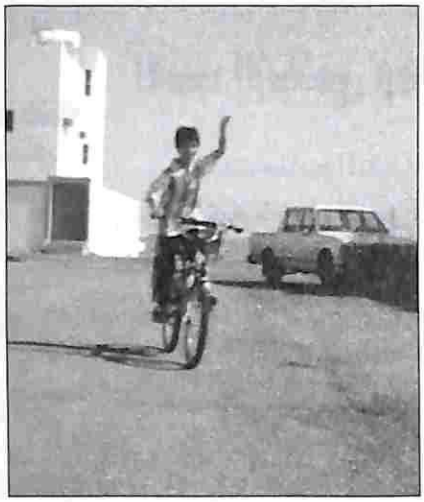

راكب الدراجة

بقلم: د. عبدالقدوس أبو صالح

لم أكن قد تجاوزت العاشرة من العمر أو ما بعدها بقليل عندما أقنعت أخي الذي يكبرني بثلاثة أعوام أن يعلمني ركوب الدراجة الهوائية.

وكل من تعلم ركوب الدراجة يتذكر أن الصعوبة في المرحلة الأولى هي في حفظ توازن المقود مع اضطرار الراكب إلى الضغط بإحدى رجليه على الدواسة ضغطا متناوبا مع الرجل الأخرى ، وما من شك أن الجمع بين العمليتين يحتاج إلى مران وتدريب متواصل.

وتفتق ذهن أخي عن طريقة تفصل بين العمليتين، وتقدم تعلم توازن المقود على تعلم الضغط على الدواسة، وكانت طريقته أو اختراعه هي أن نعمد إلى شارع شديد الانحدار ، ثم أركب الدراجة في قمة الشارع، وأنحدر بها محاولا تثبيت المقود دونما حاجة إلى الضغط بالرجلين ، ما دامت الدراجة تنزلق بالتسارع إلى آخر الشارع المنحدر، حتى إذا وصلت إلى نهاية الشارع عدت بالدراجة إلى قمة الانحدار دون أن أركبها، بل أتجشم الصعود بها ماشيا وأنا أقود الدراجة بكلتا يدي.

وقد أعجبني هذا الاختراع ، ورحت أكرره مرة تلو أخرى إلى أن وقعت الطامة . ذلك أني ما كدت أنحدر من قمة الشارع حتى خرج رتل من الراهبات اللواتي كن يعملن بالتمريض في أحد المستشفيات التبشيرية.

وقد أذهلتني المفاجأة وأنا أرى رتل الراهبات يسد عرض الشارع من يمينه إلى يساره ، وكنت أعلم أن الضغط على مكبح الدراجة يؤدي مع السرعة المتزايدة إلى انقلاب الدراجة بشكل خطير ، ولم يكن أمامي مدة كافية للضغط على المكبح ضغطا خفيفا متزايدا ، بل لعل المفاجأة أنستني أن للدراجة مكبحا في الأصل.

وهكذا لم يكن أمامي وأنا أحس بتسارع الدراجة إلا أن عمدت إلى تنبيه الراهبات بالصياح ، وعندما التفت بعضهن ورأين ما وراءهن من الخطر الداهم كنت قد وصلت إليهن تقريبا، وكنت أعلم أني لو أصبت إحداهن فسوف تكون إصابة قاتلة أو شبه قاتلة.

وهكذا لم يكن أمامي من بد سوى أن مددت ذراعيّ بشكل مفاجئ وشققت بهما رتل الراهبات مما أدى إلى وقوع اثنتين منهن على الأرض وقوعا شديدا، بينما مرقت الدراجة من بينهما بسرعة السهم، ولم تقف إلا في نهاية الشارع وعند استواء الطريق ، وبعد ضغطي على المكبح الذي تذكرت وجوده.

وبعد أن عدلنا عن تجربة هذا الاختراع أمام تلك الحادثة ، وعدنا إلى الطريقة التقليدية في تعلم ركوب الدراجة ظننت أني قد أتقنت الصنعة فركبت الدراجة في شارع مستو لا صعود فيه ولا انحدار.

وما إن وصلت إلى آخر الشارع حتى رأيت رجلا كهلا مقبلا من الجهة الأخرى ، وهو يسير الهوينى ببطء شديد ، وما إن رأيته مقبلا حتى أخذت أصيح «انتبه يا عم .. انتبه انتبه » ، وانتبه الرجل وصعد إلى رصيف الشارع ، ولكني بقيت مع ذلك متجها إليه ، موجها بصري نحوه ، لا ألوي على شيء غيره.. وأنا أكرر العبارة : «انتبه يا عم .. انتبه انتبه » ، ولما وصلت إليه إذا به يوقف الدراجة التي كانت تدرج ببطء ، ثم قال لي والابتسامة الحادبة على شفتيه : « يا بني لقد انتبهت كما أمرتني ، وصعدت إلى الرصيف ، وها أنت ترى وراء الرصيف هوة سأقع فيها لو تابعت «تنبيهك» وأخليت لك الرصيف.. ولكن المفترض أن تنتبه أنت يا راكب الدراجة الشاطر». ■